



كلية الآداب



جامعة بنها

مجلة كلية الآداب

مجلة دورية علمية محكمة

أثر الفكر الإسلامي في أدب أبي العلاء المعري

"رسالة الغفران - رحلة الإسراء والمعراج أنموذجاً"

اعداد الدكتور/

خالد محمود عسود المزيد

أستاذ مشارك

جامعة البلقاء التطبيقية

كلية الحصن الجامعية

قسم العلوم الأساسية الإنسانية

email: Kh.alazzam@bau.edu.jo

أكتوبر ٢٠٢٣

المجلد ٦٠

[/https://jfab.journals.ekb.eg](https://jfab.journals.ekb.eg)

المخلص:

يأتي هذا البحث على جانب من حياة أبي العلاء المعري، وعلمه، وعقيدته، وحافظته، وذكائه، ويتمحور حول أثر الفكر الإسلامي في أدب أبي العلاء المعري، خاصة في رسالة الغفران وأثر حادثة الإسراء والمعراج فيها. وقد عرض هذا البحث آراء العلماء في عقيدة أبي العلاء المعري، ورد الشبهات التي تؤدي إلى تكفيره وزندقته، وهو ما قام به مجموعة من العلماء ممن أنصفوا أبا العلاء، وأتى البحث على الصعوبات التي واجهت أبا العلاء المعري من لدن أبناء عصره، سواء أكان من الساسة، أم من علماء السلاطين المترلفين، أم من عامة الناس، وانتقد بكل وضوح تصرفات الساسة في استغلال عامة الناس.

المقدمة:

تناول موضوع البحث أثر الفكر الإسلامي في أدب أبي العلاء المعري:

"رسالة الغفران - رحلة الإسراء والمعراج أنموذجاً"

وبدراسة الباحث لرسالة الغفران وحياة المعري وما واجه من صعوبات وتحديات بعد أن قدم إلى بغداد عاصمة الخلافة بالجور، وأخلاق الناس منحلة، يفعلون القبيح والمنكر، ويتقنون الخداع والغش والمكر، عند ذلك قرر المعري العودة إلى بلده معرة النعمان، وفي طريق عودته، جاءه خبر وفاة والدته، فعظمت مصيبتة، حيث فقد ينبوع الحنان الذي طالما نعم به، فهزته هذه المصيبة، وزادته شعوراً بضعفه ونقمته على الحياة والأحياء، هنالك دار في خياله أن يخرج منتصراً من تلك الظروف القاسية، فتذكر

الظروف الصعبة التي أحاطت بالرسول صلى الله عليه وسلم، وكيف جاءت حادثة الإسراء والمعراج تثبيتاً لقلبه على العقيدة، ونصراً له على الظروف المحيطة، هنالك قرر أن يكتب رسالة الغفران رداً على رسالة ابن القارح، وإثبات قدرته العلمية واللغوية وسداد رأيه أمام أبناء عصره.

وقد جاء هذا البحث في مبحثين كما يلي:

المبحث الأول: في شخصية أبي العلاء وفكره، وله ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حياة أبي العلاء المعري

المطلب الثاني: عقيدة أبي العلاء المعري

المطلب الثالث: حافظة أبي العلاء المعري وذكأؤه

المبحث الثاني: الفكر الإسلامي في رسالة الغفران، وله ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أثر الفكر الإسلامي في رسالة الغفران

، نجد أن البغداديين اعترفوا له بالعلم والفضل، ولكن سرعان ما تغيرت الأحوال بأبي

العلاء المعري في بغداد بعد اكتشافه أن بضاعة العلم الصادق غير نافقة، وأن الجهل

مع النفاق والتزلف للحكام هو البضاعة الرائجة، وأن هنالك فساداً في مختلف مناحي

الحياة في عصره، الحكام يظلمون الرعية أو يغتصبون أموال الناس، والساسة خداعون جهال، يستعبدون الرعية، والقضاة يحكمون

المطلب الثاني: الجنة بين الإسراء والمعراج ورسالة الغفران

المطلب الثالث: النار بين الإسراء والمعراج ورسالة الغفران

أهمية الدراسة:

تتبع أهمية هذه الدراسة من كونها تتناول شخصية أدبية فكرية جامعة، كثر الجدل حولها، وهي في الأساس شخصية جدلية في ذاتها، ولعل منتجها الفلسفي الكبير (رسالة الغفران) واحدا من أهم منتجاتها الفكرية التي يمكن أن نستخلص من متونها نتائج أقرب إلى حقيقة ما يتبناه أبو العلاء المعري من فكر ديني وفلسفي. ولا يخفى على ذي اطلاع ما لهذه المسألة من حساسية لدى المسلمين الذين من صلب عقيدتهم الإيمان بغيبيات اليوم الآخر، وهذا من الموضوعات التي جعلت بعضهم يرمي أبا العلاء بالكفر والزندقة.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى معاينة تأثير الفكر الإسلامي في رسالة الغفران، وتكمن صعوبة هذا الأمر كون رسالة الغفران متن أدبي متكامل العناصر، يأتي ليوظف

الخيال في قراءة مصائر شعراء وأدباء في عالم الغيب الوارد في الفكر الإسلامي وتهدف الدراسة أيضا إلى استنتاج النص من خلال التحليل لمعرفة ما يحمله أبو العلاء من فكر ديني وفلسفي.

منهج البحث:

اتبعت الدراسة في مسارها المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بالرجوع إلى حياة أبي العلاء المعري وتتبع مسارها، ومناقشة موضوع العقيدة لديه، وحافظته وذكاءه في المبحث الأول. وفي المبحث الثاني كان ثمة معاينة لأفكار كتابه (رسالة الغفران) وتحليل بعض من نماذجها من أجل الوصول إلى نتائج تصاغ وفق المعطيات التي عاينها الوصف والتحليل.

١. المبحث الأول:

١-١ المطلب الأول: حياة أبي العلاء المعري

أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري التنوخي، وهو عربي النسب من قبيلة تنوخ من بطون قضاة، من بيت حكم وقضاء، ولد بمعرة النعمان سنة (٣٦٣هـ)، وجدر في الثالثة من عمره فكف بصره، وتعلم على أبيه وغيره من علماء زمانه، وكان يحفظ كل ما يسمعه من مرة، وقال الشعر وعمره إحدى عشرة سنة^(١)، ودرس العلوم اللغوية والشرعية، ودرس المسيحية واليهودية في أثناء تطوافه بالشام وأدياره^(٢).

يبدو أن أبا العلاء المعري من أكثر الشخصيات الأدبية في تاريخ الأدب العربي إثارة وثناء وعمقاً في اللفظ والمعنى، ولقد أتاحت له سعة اطلاعه وحدة ذكائه وصفاء ذهنه ورحلاته العلمية، أن ينفرد بصور أدبية ونثرية لم تكن مألوفة أو معروفة بين أدباء زمانه، حيث رحل إلى بغداد لطلب العلم، والاستكثار منه والاطلاع على الكتب ببغداد، ولم يرحل لطلب دنيا ولا رفد^(٣)، وعندما دخل بغداد أقبل عليه السيد المرتضى إقبالاً عظيماً ثم جفاه، ولما رجع إلى المعرة لم يبرح منزله، ونسك، وسمى نفسه رهين المحبسين، محبس العمى ومحبس المنزل، وبقي

فيه مكبًا على التأليف والتدريس^(٤) نحو خمسين عامًا، ألف خلالها تلك الكتب الكثيرة التي رواها ياقوت الحموي في معجمه، وهي تدل على أنه كان واسع الثقافات سعة شديدة، فهو يعرف الديانات والمعتقدات المختلفة، ويعرف الفلسفة والتنجيم، والتاريخ والتصوف، وما يطوي في ذلك من ثقافات يونانية وفارسية وهندية، وعني عناية خاصة بالثقافة اللغوية، فألف في النحو والعروض، وكان إمامًا ممتازًا من أئمة اللغة^(٥).

له من التصانيف: شرح شعر المتنبي، شرح شعر البحتري، شرح شعر أبي تمام، سماه ذكرى الحبيب، شرح شواهد الجمل (لم يتم) ظهير العضيدي في النحو، شرح بعض كتاب سيبويه، مقال النظم في العروض، سقط الزند، وضوء السقط، والحقير النافع في النحو، لزوم ما لا يلزم، وكتب كثيرة^(٦). ولما مات أبو العلاء، وقف على قبره سبعون شاعرًا من أهل المعرفة، فأنشد كل منهم قصيدة يرثيه بها^(٧).

٢-١ المطلب الثاني: عقيدة أبي العلاء المعري

تعددت الآراء حول عقيدة أبي العلاء المعري، فمنهم من ذهب إلى تكفيره، ومنهم من ذهب إلى إيمانه وزهده، ومنهم من قال إن أبا العلاء المعري نطق بأبيات شعرية أثناء

عنقوان الشباب قد يستدل بها على زندقته، ولكنه عاد وتاب وأناب وزهد في الدنيا، وأقبل على الله سبحانه وتعالى، ومن هذه الآراء قول ياقوت: وكان متهمًا في دينه، يرى رأي البراهمة، لا يرى أكل اللحم، ولا يؤمن بالبعث والنشور، وبعث الرسل.

وقال الصفدي: كان قد رحل إلى طرابلس، وكان بها خزانة كتب موقوفة، فأخذ منها ما أخذ من العلم، واجتاز باللانقية، ونزل ديرًا، كان به راهب له علم بأقاويل الفلاسفة، فسمع كلامه فحصل له بذلك شكوك، أما الذهبي فحكم بزندقته، وقال السلفي: أظنه تاب وأناب وقال ابن العديم في كتابه دفع التحري على أبي العلاء المعري:

كان يرميه أهل الحسد بالتعطيل، ويعملون على لسانه الأشعار، ويضمنونها أقاويل الملحدة قصدًا لهلاكه، وقد نقل عنه أشعار تتضمن صحة عقيدته، وإن ما ينسب إليه كذوب كقوله:

لا أطلبُ الأرزاقَ والمولى يفيضُ عليَّ رزقي

إن أعطَ بعضَ القوتِ أعلمُ أنّ ذلكَ فوقَ حقِّي^(٨).

ومن التهم التي ألصقت بأبي العلاء المعري، أنه قلّد أساليب القرآن في بعض جوانب من كتابه (الفصول والغايات) لكن ابن سنان الخفاجي أحد تلاميذ أبي العلاء المعري

يرد هذه التهمة بقوله عن الفصول والغايات: وهذا الكتاب إذا تأمله العاقل علم أنه بعيد عن المعارضة، وهو بمعزل عن التشبيه بنظم القرآن العزيز والمناقضة، ومن يرجع إلى الكتاب يرفض رفضاً باتاً، ما ادعاه خصومه عليه فيه من هذه المعارضة المزعومة، إذ كله تسييح وتمجيد في الله، وانظر إليه يقول: علم ربنا ما علم، إني ألفت الكلم، أمل رضا المسلم، وأتقي سخطه المؤلم، فهب لي ما أبلغ به رضاك في الكلم والمعاني الغراب، وتسيطر على الكتاب كله، روح التقوى والزهد، والخوف العظيم من ربه، وقد انتشرت هذه الروح في جميع صفحات الكتاب، كقوله في بعض الفصول "إن كان الدمع يطفئ غضبك فهب لي عينين كأنهما غمامتا شتى تبلان الصباح والمساء"^(٩).

وخلاصة الرأي أن أبا العلاء المعري لم يرد تقليد الكتاب العزيز للمعارضة والتحدي، وإنما أراد مطلق التقليد الخالي من أي غرض من أغراض الإلحاد^(١٠).

ويبدو لي أن من يتتبع آراء أبي العلاء المعري في كتبه سيجزم بإيمانه، مثل قوله وهو يصف القرآن الكريم: وأجمع ملحد ومهتد، وناكب عن المحجة ومقتدٍ أن هذا الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، كتاب بهر بالإعجاز، ولقي عدوه بالإرجاز،

ما حُذِي على مثال، ولا أشبهَ غريب الأمثال، ولا شاكل خطابه العرب ولا سجع الكهنة ذوي الأرب، وجاء كالشمس اللاتحة، ونورًا للمسرة والبائحة^(١١).

ومن العلماء الذين أنصفوا أبا العلاء المعري، ابن العديم عندما قال: فإني وقفت على جملة من مصنفات عالم معرة النعمان، أبي العلاء، أحمد بن عبد الله بن سليمان فوجدتها مشحونة بالفصاحة والبيان، مودعة فنونًا من الفوائد الحسان محتوية على أنواع الآداب، مشتملة على علوم العرب على الخالص والباب، لا يجد الطامع فيه سقطه، ولا يدرك الكاشح فيها غلطة، ولما كانت مختصة بهذه الأوصاف، مميزة على غيرها من أهل الإنصاف، قصده جماعة لم يعوا وعيه وحسده إذ لم ينالوا سعيه، فنتبعوا كتبه على وجه الانتقاد، ووجدوها خالية من الزيغ والفساد، فحين علموا سلامتها من العيب والشين، سلكوا فيها مسالك الكذب والمين، ورموه بالإلحاد والتعطيل، والعدول عن سواء السبيل، فمنهم من وضع على لسانه أقوال الملحدة، ومنهم من حمل كلامه على غير المعنى الذي قصده، فجعلوا محاسنه عيوبًا، وحسناته ذنوبًا، وعقله حمقًا، وزهده فسقًا، ورشقه بأليم السهام، وأخرجوه عن الدين والإسلام، وحرفوا كلمه عن مواضعه، وأوقعوه في غير مواقعه^(١٢).

٣-١ المطلب الثالث: حافظه أبي العلاء المعري وذكاه

من الواضح أننا أمام رجل ذكي فطن يعد أعجوبة من أعاجيب الزمان لذكائه الخارق، وحافظته القوية، وثقافته الواسعة، رغم فقد بصره، ويبدو أن حافظته شيء لا يخطر على بال، أو حتى يعد من الخيال، حيث كان قوي الحافظة قوة شديدة، وكان لا يقرأ عليه كتاب إلا حفظ منه أطرافاً، حتى ليروي الرواة أنه لما ذهب إلى بغداد طلب أن تعرض عليه الكتب التي في خزانتها، فكان كلما قرئ عليه شيء حفظه، وهم يروون أنه كان يحفظ المحكم والمخصص، وأنه أملاهما من صدره، وكان يحفظ ما يسمعه بين رجلين بالفارسية أو بالأذرية، يقول ابن العديم: كان أبو العلاء على غاية من الذكاء والحفظ، وقيل له بم بلغت هذه الرتبة من العلم؟ فقال: ما سمعت شيئاً إلا حفظته، وما حفظت شيئاً ونسيته^(١٣). وقال أبو منصور الثعالبي في تنمة يتيمة الدهر: وكان حدثي أبو الحسن الدلفي المصيبي الشاعر، وهو ممن لقيه قديماً وحديثاً في مدة ثلاثين سنة، قال: لقيت بمعرة النعمان عجباً من العجائب، رأيت شاعراً ظريفاً يلعب بالشطرنج والنرد، ويدخل في كل فن من الجد والهزل يكنى أبا العلاء، وسمعتة يقول: أنا أحمد الله على نعمة العمى، كما يحمده غيري على نعمة

البصر^(١٤)، ويذكر عن ذكائه وحفظه وفطنته، أن رجلاً قدم من بلاد العجم، يطلب صاحباً له فلم يجده، فأشار إليه أبو العلاء أن يذكر حاجته إليه، فجعل يتكلم الفارسية، وأبو العلاء يصغي إليه، إلى أن فرغ من كلامه، وهو لا يفهم ما يقول، ومضى الرجل، وقدم جار أبي العلاء العجمي الغائب، وحضر عند أبي العلاء، فذكر له حال الرجل وطلبه، وجعل يعيد عليه بالفارسية ما قال والرجل يبكي ويستغيث، ويلطم على رأسه، إلى أن فرغ أبو العلاء، وسئل عن حاله، فأخبرهم أنه أخبر بموت أبيه وإخوته وجماعة من أهله^(١٥). وذكر التبريزي أنه كان بين يديه يقرأ عليه شيئاً من مصنفاته، قال: وكنت أقمت عنده سنين، ولم أر أحداً من بلدي، فدخل المسجد بعض جيراننا، فعرفته فتغيرت من الفرح، فقال لي أبو العلاء، إيش أصابك، قلت رأيت جازاً لنا، بعد أن لم ألق أحداً من أهل بلدي سنين، فقال: قم كلمه، فقامت وكلمته بلسان الأذرية شيئاً كثيراً إلى أن سألت عن كل ما أردت، ثم عدت، فقال: أي لسان هذا فقلت لسان أذربيجان، فقال لي: ما عرفت اللسان ولا فهمته غير أنني حفظت ما قلتما، ثم أعاد علي اللفظ بعينه، من غير أن ينقص أو يزيد، فعجبت من حفظه ما لم يفهمه^(١٦).

وورد أن هبة الله بن موسى، سمع من أخبار أبي العلاء، وما أوتيته من البسطة في اللسان؛ مما جعله وأخاه يرحلان إليه في المعرة، ودار بينهما حديث بالفارسية، ثم انصرفوا إلى مذاكرة أبي العلاء، فقال: فتجاذبنا الحديث إلى أن ذكرت ما وصف به من سرعة الحفظ، وسألته أن يريني من ذلك ما أحكيه عنه، فقال: خذ كتابًا من هذه الخزانة القريبة منك، فأذكر أوله، فإني أوردته عليك حفظًا، فقلت كتابك هذا ليس بغريب إن حفظته، قال: قد دار بينك وبين أخيك كلام بالفارسية إن شئت أعدته، قال: أعدته، فأعاده، وما أخل والله بحرف ولم يكن يعرف اللغة الفارسية^(١٧).

وذكر القفطي عن سرعة بديهة أبي العلاء وحفظه، أنه كان يحفظ ما يمر به ويسمعه، وأن رجلاً من اليمن وقع إليه كتاب في اللغة سقط أوله وأعجبه جمعه وترتيبه، فكان يحمله معه ويحج، فإذا اجتمع بمن فيه أدب، أراه إياه وسأله عن اسمه واسم مصنفه، فلا يجد أحدًا يخبره بأمره، واتفق أن وجد من يعلم حال أبي العلاء فدل عليه، فخرج الرجل بالكتاب إلى الشام، ووصل إلى المعرة، واجتمع بأبي العلاء، وعرفه ما حاله، وأحضر الكتاب وهو مقطوع الأول، فقال له أبو العلاء: اقرأ منه شيئًا، فقرأ عليه، فقال له أبو العلاء، هذا الكتاب اسمه كذا، ومصنفه فلان، ثم قرأ عليه من أول الكتاب إلى

أن وصل إلى ما هو عند الرجل، فنقل عنه النقص، وأكمل عليه تصحيح النسخة، وانفصل إلى اليمن فأخبر الأدباء بذلك، وقد قيل إن هذا الكتاب هو ديوان الأدب للفارابي اللغوي، وهو مضبوط على أوزان الأفعال^(١٨)، ومما يروى عن أعاجيب ذكاء وعلم المعري، أنه دخل يوماً على الشريف المرتضى فعثر برجل، فقال له الرجل: من هذا الكلب؟ فقال أبو العلاء: الكلب الذي لا يعرف للكلب سبعين اسماً فقره المرتضى، واختبره فوجده علامة^(١٩).

ومن عجائب ما يروى عن المعري ما ورد في كتاب نكت العميان، أن المعري كان يركب بعيراً فضربته شجرة، وبعد عشرين سنة مر بالمكان وفي نفس موضع الشجرة طأطأ رأسه، فقيل له لماذا، قال: في شجرة ضربتني قبل عشرين سنة، قالوا ما في شجر، قال: احفروا إن ما وجدتم الأصول والعروق، فأنا لا أفهم، وبالفعل حفروا ووجدوا بنفس المكان العروق^(٢٠).

٢. المبحث الثاني

١-٢ المطلب الأول: أثر الفكر الإسلامي في رسالة الغفران

إن الذي يتصفح رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، يدرك أن المعري قد تأثر تأثراً واضحاً بما لا يدعو مجالاً للشك بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، في أدبه وفي رحلته التي قام بها إلى العالم الآخر، حيث أجرى أبو العلاء المعري حديثاً مع أهل العالم الآخر، وقد سبق أبو العلاء في الرحلات إلى العالم الآخر هوميروس، وفرجيل، ويوحنا في رؤياه، وسبقه كذلك حادثة الإسراء والمعراج، وعشرات القصص والحكايات التي تتعلق بهذه الرحلات إلى ما بعد القبر^(٢١).

كانت رحلة الإسراء والمعراج بالنسبة للرسول -صلى الله عليه وسلم- عزيمة الشأن، وكان حدث الإسراء، وحدث المعراج، بعد جفوة أهل الأرض، وبعد فقد النصير والحامي، حيث توفيت زوجته خديجة رضي الله عنها، ومات عمه أبو طالب، فإله سبحانه وتعالى شاء أن يجعل لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذه الرحلة العلوية، حتى يعلمه علو منزلته عند ربه، كما يعلمه أن في عناية الله سبحانه وتعالى عوضاً عن كل مفقود، وأن الملكوت الأعلى سيحتفي به حفاوة تذهب عنه عناء كل هذه

المتاعب، ويعطيه بذلك الاحتفاء وتلك الحفاوة دفعة قوية، لتكون أدواته في منطلقه الجديد بإذن ربه سبحانه وتعالى^(٢٢). وجاء معراج أبي العلاء بعد أن سافر إلى بغداد عاصمة الخلافة، وأقر له البغداديون بأنه أعجوبة الزمان في حفظه وعلمه باللغة، لكن العاصمة ما لبثت أن كشفت له عن قناعها، وألزمته إلى أن يعيد النظر فيما تزود به للمقام فيها، الأدب لا جدوى منه إلا إذا عزف للسلطان، وتمرغ على أعتاب السادة ذوي الجاه والنفوذ هنالك أب الضرير بحسرتة إلى منزله بالمعرة، ليجد أمه قد رحلت من الدنيا بغير وداع، وأوصد بابه لا يأذن لزائريه في الدخول، ولو كانوا من ذوي القربى، ثم رق قلبه لضراعتهم، وفتح بابه يستقبل طلاب العلم، لتكون إليه رحلة العلماء من مشرق ومغرب، وانقطع للتدريس والإملاء، فإذا خلا إلى نفسه في غير أوقات التدريس، فللعبادة والتأمل، وما باختياره كان يلقي زائريه، ولا باختياره كان قراره الصارم بالعزلة، وإنما حمله عليها عجزه عن احتمال نكران العصر وفساد المجتمع^(٢٣). فكانت رسالة الغفران رحلة خيالية، صور المعري فيها رؤيته للجنة والنار، وفهمه لهما، ويعبر فيها عن موقفه من الأدب والشعر والشعراء والحياة والمجتمع، مستفيداً من ذلك كله من قصة الإسراء والمعراج، ومن المعطيات الإسلامية للجنة

والنار، وإن كان لا يعبر بالضرورة عن صورة الجنة والنار في الإسلام؛ مما يجعل صورة الجنة في رسالة الغفران هي تصور المعري لها (٢٤).

نلاحظ أن تأثير حادثة الإسراء والمعراج كان كبيرا في رسالة الغفران التي كتبها أبو العلاء المعري من خياله الواسع، من حيث الولوج إلى العالم الآخر، والاطلاع على الجنة وما فيها من نعيم، والنار وما فيه من جحيم، ففي جنة أبي العلاء وجحيمه، ملامح واضحة من الجنة والجحيم التي جاءت في حادثة الإسراء والمعراج، ووردت في القرآن الكريم ولا مجال للتردد في القول بأنه قد أخذ أكثر مادته لعالمه الآخر من القرآن الكريم، وهو في كل ما أخذ من ذلك يقدمه مع الشواهد القرآنية للذي في جنته من أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى وقد سمى دار العذاب في عالمه الآخر بأسمائها القرآنية (النار، الجحيم، سقر، كما استعمل السعير والزبانية والأغلال، والسلاسل، ومقامع الحديد) (٢٥).

لذلك نرى تشابه رسالة الغفران مع حادثة الإسراء والمعراج في الموضوع، فكل منها وصف رحلة إلى العالم الآخر، يقوم بها النبي أو الأديب، ويلقى قوماً من أهل

السعادة، وآخرين من أهل الشقاء، فيحدثهم ويحاورهم، ويصف منازلهم وبعض أسباب سعادتهم أو شقتهم^(٢٦). وسبب كتابة هذه الرسالة للرد على رسالة ابن القارح التي بعث بها لأبي العلاء المعري، ومن المفروض أن رسالة ابن القارح كانت رسالة إخوانية، ولكن ابن القارح عني بسرد بعض الأخبار والأشعار ليعلن براعته، وتحدث عمّن لقي من الأئمة والشيوخ، فكان رد أبي العلاء متمثلاً في رد عادة أهل العصر بحيث يعرض هو الآخر، بضاعته، ويترجم بحديثه عن حاجة في نفسه، ولم يكتف بعرض بضاعته من العلم واللغة والفن، بل يحلم وينال من عالم الخيال ما لم ينله من عالم الواقع^(٢٧).

والملاحظ أن أبا العلاء قد اختار شخصية ابن القارح نفسه ليقوم بالرحلة المعراجية، وأجرى على لسانه ما شاء من آراء وأقوال، وجعله يزور الجنة والنار، ويقابل الشعراء ويسأل كل من التقى بهم في الجنة بقوله: بم غفر لك؟ فيرد عليه الشاعر بالبيت، أو الأبيات التي أدخلته الجنة، وإذا ما انتقل إلى النار سأل من التقى به: ألم يغفر لك قولك؟ وهكذا اقتصر حديثه على الشعراء وما يتضمنه ذلك من تعبير عن قدرته على الحفظ والتعبير، وكذلك عن تعويض الحرمان الذي يعيشه الشاعر في أخريات حياته،

أي أن رسالة الغفران تعبير عن الذات، وليس رحلة صوفية يتحقق في نهايتها ما يصبو إليه الصوفي من مشاهدة أو اتحاد^(٢٨).

٢-٢ المطلب الثاني: الجنة بين الإسراء والمعراج ورسالة الغفران

ورد في معراج ابن عباس: "فقال جبريل: يا رضوان، خذ بيد حبيب الله، وأره الجنة، فنظرت إلى أرضها بيضاء مثل الفضة، حصباؤها اللؤلؤ والمرجان، وترايبها المسك، ونباتها الزعفران، وأشجارها ورقة من فضة وورقة من ذهب، والثمار عليها مثل النجوم المضيئة، والفرش سقفاها، والرحمة حشوها، والملائكة سكانها، والرحمة جارها، فأخذ رضوان بيدي وسرنا بين أشجارها، وما فيها من سرر، وعيون، وهور عين، وأبكار وقصور عاليات، وولدان كأنهم الأقمار، وخدم وحشم وكرم، وأنعام ونعيم ومقام، وخلود وسعود ودوام، وفرح في جوار الملك العلام، ورأيت قبة من لؤلؤة بيضاء معلقة بلا علاقة تحملها أو تمسكها، لها ألف باب من الذهب الأحمر، على كل باب ألف وصيف، ورأيت داخل القبة ألف مقصورة، في كل مقصورة ألف غرفة، وفي كل غرفة ألف سرير، على كل سرير ألف فرش من الإستبرق، فقلت: يا أخي يا جبريل، لمن

هذا النعيم المقيم، والعطاء الجسيم، فقال: يا حبيب الله، هذا لمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله حقاً^(٢٩).

أما في رسالة الغفران فقد صور أبو العلاء المعري من روائع أخيلته ما لقيه صاحبه علي بن منصور، في موقف الحشر، قبل أن يؤذن له بدخول الفرديس، وما كابده من شدائد وأحوال حيث قال: فلما أقمت في الموقف زهاء شهر أو شهرين، وخفت في الغرق من العرق، زينت لي النفس الكاذبة أن أنظم أبياتاً في رضوان خازن الجنان، عملتها على وزن: قفا نبك من حبيب وعرفان. ووسمتها برضوان، ثم ضانكت الناس حتى وقفت منه بحيث يسمع ويرى، فما حفل بي، ولا أظنه آبه لما أقول، فغبرت برهة، نحو عشرة أيام من أيام الفانية، ثم عملت أبياتاً في وزن.

بَانَ الْخَلِيْطُ وَلَوْ طُوِّعَتْ مَا بَانَ وَقَطَّعُوا مِنْ حِبَالِ الْوَصْلِ أَقْرَانَا

ووسمتها برضوان، ثم دنوت منه ففعلت كفعلي الأولي، فكأني أحرك ثبيراً وألتمس من الغضرم عبيراً^(٣٠). ثم تمثل أبو العلاء صاحبه علي بن منصور، وقد ورد الحوض حيث قال: وهممت بالحوض فكدت لا أصل إليه، ثم نغبت منه نغبات لا ظمأ بعدها، وإذا الكفرة يحملون أنفسهم على الودود فتندوهم الزبانية بعصي تضطرم ناراً، فيرجع أحدهم، وقد احترق وجهه، أو يده، وهو يدعو بالويل والثبور^(٣١). ويبدو أن المعري

ذكر الحوض والورود إليه من قبل أهل الإيمان، وطرد الكفار عنه كان متأثراً بحديث رسول الله -صلى عليه وسلم- حيث قال: "إني فرطكم على الحوض، من مر علي شرب، ومن شرب لم يظماً أبداً، يرد على أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم، فأقول إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول سحفاً، سحفاً (٣٢).

وبعد ذلك يتخيل المعري أن علي بن منصور يطلب الشفاعة يوم القيامة لأنه كان إذا فرغ من كتاب له يقول: صلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى عترته الأخيار الطيبين، ثم يطلب من عترة النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يتوسطوا له عند فاطمة لكي تطلب له الشفاعة من أبيها وتخبره بقصة علي بن منصور، إلى أن قال، هذا ولي من أوليائنا قد صحّت توبته، ولا ريب أنه من أهل الجنة قد توسل بنا إليك -صلى الله عليك- في أن يراح من أهوال الموقف، ويصير إلى الجنة، فيتعجل الفوز فقالت لأخيها إبراهيم -صلى الله عليه- دونك الرجل، فقال لي تعلق بركابي (٣٣).
ومن الشعراء الذين دخلوا جنة أبي العلاء المعري، الأعشى حيث يجري المعري الحوار التالي بين ليبيد والأعشى وعلي بن منصور، حيث يقول ليبيد سبحان الله يا أبا

بصير! بعد إقرارك بما تعلم غفر لك وجعلت في جنة عدن، فيقول مولاي الشيخ

متكلما عن الأعشى: كأنك يا أبا عقيل تعني قوله:

وأشربُ بالريفِ حتى يُقالَ قد طال بالريفِ ما قد رَجِنُ

صريفيةً طيباً طعمُها تُصَفُّهُ ما بين كوبٍ ودُنُّ

وأقررتُ عيني من الغانياتِ إمّا نكاحاً وإمّا أُرُنُّ

ونحو ذلك مما روي عنه، فلا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون قاله تحسينا للكلام

على مذهب الشعراء، وإما أن يكون فعله فغفر له^(٣٤). "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ

وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا"^(٣٥).

ثم يتصور المعري بخياله الواسع مراكب أهل الجنة، حيث يذكر قول عدي بن زيد

عندما دخل الجنة: ويحك، أما علمت أن الجنة لا يرهب لديها السقم، ولا تنزل بسكنها

النقم، فيركبان سابحين من خيل الجنة، مركب كل واحد منهما لو عُدل بممالك العاجلة

الكائنة من أولها إلى آخرها لرجح بها وزاد في القيمة عليها^(٣٦). واستطاع المعري من

خلال خياله الواسع، أن يصف الجنة بما فيها من أنهار وأشجار، ونساء، وطعام،

وشراب، وملذات، وجمع الشعراء والأدباء في جنته لكي يتمتعوا بما أعد الله لهم من

نعيم مقيم، واختار أبو العلاء المعري للمنادمة في الفردوس، ثعلباً، وابن دريد، ويونس

بن حبيب، وابن المجاشعي، والمبرد، وسيبويه، والكسائي، وأبا عبيدة، والخليل بن أحمد، وغيرهم الكثير. ويبدو لأبي العلاء أن يادبَ مآدبة في الجنة، فتراه يجمع فيها ما أمكن من شعراء الخضرمة والإسلام، الذين أصلوا كلام العرب، وجعلوه محفوظاً في الكتب، وغيرهم ممن يتأسى بقليل الأدب، فإذا أتت الأطعمة افترق غلمانها الذين كأنهم اللؤلؤ المكنون، لإحضار المدعويين، فلا يتركون في الجنة شاعراً إسلامياً، ولا مخضرمًا، ولا عالمًا بشيء من أصناف العلوم، ولا متأدبًا إلا أحضروه^(٣٧). ويطلق أبو العلاء العنان لخياله الواسع، ويصور لنا بعضًا من القصور الموجودة في الجنة، ويذكر لنا أصحاب هذه القصور، حيث قال: وينظر الشيخ في رياض الجنة فيرى قصرين منيفين، فيقول في نفسه: لأبلغن هذين القصرين، أسأل لمن هما، فإذا قرب إليهما، رأى على أحدهما مكتوبًا: هذا القصر لزهير بن أبي سلمى، وعلى الآخر: هذا القصر لعبيد بن الأبرص الأسدي^(٣٨).

فيخطر لعلي بن منصور أن يسأل الشاعرين، بم غفر لهما، فيبتدئ بزهير بن أبي سلمى بقوله: بم غفر لك وقد كنت في زمان الفترة، والناس همل لا يحسن منهم العمل، فيقول: كانت نفسي من الباطل نفورًا، فصادفت ملكًا غفورًا، وكنت مؤمنًا بالله

العظيم، ثم ينصرف إلى عبيد، فإذا هو أعطي بقاء التأبيد، فيقول: السلام عليك يا أبا بني أسد، فيقول: وعليك السلام وأهل الجنة أذكيا، لا يخالطهم الأغبياء، لعلك تريد أن تسألني بم غفر لي، فيقول: أجل، وإن في ذلك لعجبا! أألفيت حكماً للمغفرة موجبا، ولم يكن عن الرحمة مُحجبا، فيقول عبيد: أخبرك أني دخلت الهاوية، وكنت قلت في أيام الحياة:

من يسأل الناس يجرمه وسائلُ الله لا يخيبُ

وسار هذا البيت في آفاق البلاد فلم يزل ينشد، ويخف عني العذاب حتى أطلقت من القيود والأصفاد، ثم كرر إلى أن شملتني الرحمة ببركة ذلك البيت، وإن ربنا لغفور رحيم^(٣٩).

ثم يمضي الشيخ علي بن منصور في نزته في الجنة، وإذا بشابين يتحادثان كل واحد منهما على باب قصر من در، قد أعفي من البؤس والضر، فيسلم عليهما ويقول: من أنتما رحمكما الله وقد فعل؟ فيقولان نحن النابغتان، نابغة بني جعدة، ونابغة بني ذبيان، فيقول -ثبت الله وطأته-: أما نابغة بني جعدة، فقد استوجب ما هو فيه بالحنيفية، وأما أنت يا أبا أمامة، فما أدري ما هيانك، أي ما جهتك، فيقول الذبياني: إني كنت مقرراً بالله، وحججت البيت في الجاهلية، ولم أدرك النبي -صلى الله عليه

وسلم- فتقوم الحجة علي بخلافه، وإن الله قدست أسماؤه، وعز ملكه، يغفر ما عظم بما قل^(٤٠).

ثم يخلق أبو العلاء المعري بخياله ليصف لنا عسل الجنة وملذاتها وأنهارها، حيث يقول: ويعارض تلك المدامة أنهار من عسل مصفى ما كسبته النحل الغادية إلى الأنوار، ولا هو في موم متوار، ولكن قال له العزيز القادر: كن، فكان، وبكرمه أعطى الأمان، وaha لذلك عسلا، لم يكن بالنار مبسلا، لو جعله الشارب المحرور غذاءه طول الأبد ما قدر له عارض موم الجدري، ولا لبس ثوب المحموم^(٤١) وذلك كله بدليل قوله تعالى: "مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ"^(٤٢).

ويناقش الشيخ علي بن منصور، الشماخ بن ضرار بعض معاني قصائده، لكن الشماخ بن ضرار لم يتذكر شيئاً من قصائده، لأنه قد شغل بالنعيم الدائم في الجنة إلى أن قال:

وأنا الآن في تفضل الله، أعترف في مرقد العسجد من أنهار اللين فتارة ألبان الإبل، وتارة ألبان البقر، وإن شئت لبن الضأن فإنه كثير جم، وكذلك لبن المعيز، وإن أحببت وردًا من رسل الأراوى، فرب نهر منه كأنه دجلة أو الفرات، ولقد أراني في دار الشقوة أجهد أخلاف شياه لجبات لا يمتلئ منهم القعب^(٤٣).

وفي رسالة الغفران يطل أبو العلاء من الدنيا على أخراه، وتغد السير بتأملاته إلى عالم بعيد، يفرغ فيه شحنة هومه، وأشواقه، وهواجسه، ومخاوفه وأوضح أن عالمه الآخر لا يمكن إلا أن يكون عالم أديب لغوي مفكر، وأن أشواق بشريته قد التمتست متنفسًا وريا في رؤياه لعالمه الآخر، وأن القيود التي شلت حركته نصف قرن جعلته يلحم بكسرها، والتحرر منها، فملأ جنته بالحركة والرقص والغناء، ومن أهل جنته من يخرج للنزهة والصيد والزيارة، وفيها تقام المآدب الحافلة، وأبو العلاء الذي مل السكون، وتعب من الكبت، هو الذي يريد لعالمه الآخر، أن يفعلوا بالغضب والرضا والصبر والإقبال، والمنفعة والخيبة وأن تجوز عليهم أهواء البشرية وأعراضها، من شوق وحنين وعجب وغرور وعقوق وشماتة، ونسيان وغفلة، لا شك أن محنته هي التي اقترحت عليه التعويض في الآخرة عن الدنيا، فأحد أهل الجنة بصرا هم الذين حرموا نعمة البصر في الدنيا، وأجملهم عيونًا عوران قيس، وأطيب نسائها نشرًا امرأة

كانت في الدنيا تدعى حمدونة الحلبية، طلقها زوجها لرائحة كرهها من فمها، وأنصعهن بياضاً أمة تدعى توفيق السوداء، كانت تخدم في دار العلم ببغداد^(٤٤).

ويتخيل المعري تلك الجنة خالية من الأحقاد والضغائن والكراهية، عندما ذكر علي بن منصور في الجنة، وقد اختار له ندماء من أدباء الفردوس، كأخي ثماله، وأخي دوس، ويونس بن حبيب الضبي، وابن مسعدة المجاشعي، وجاء فيها الكتاب العزيز^(٤٥).

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ^(٤٦). فصدر أحمد بن يحيى، هنالك قد غسل من الحقد على محمد بن يزيد، فصارا يتصافيان ويتوفايان كأنهما ندمانا جذيمة مالك وعقيل، جمعهما مبيت ومقيل، وأبو بشر عمر بن عثمان سيويوه قد رحضت سويداء قلبه في الضغن على علي بن حمزة الكسائي وأصحابه لما فعلوا به في مجلس البرامكة، وأبو عبدة صافي الطوية لعبد الملك ابن قريب، فقد ارتفعت خلتها عن الريب، فهما كإريد وليبد أخوان، أو ابني نوبرة في سبق من الأوان، أو صخر ومعاوية، ولدي عمرو وقد أحمدا من الإحن كل جمر^(٤٧). ثم يذكر المعري بعض الملاذ التي يتمتع بها أهل الجنة التي أعدت للشعراء والأدباء، يقول: وتمر أوزه مثل البختة، فيتمناها بعض القوم شواء،

فتمثل على خوان من الزمرد، فإذا قضيت منها الحاجة، عادت بإذن الله إلى هيئة ذات الجناح، ويختارها بعض الحاضرين كردناجا، وبعضهم معمولة بليين وخل وغير ذلك، وهي تكون على ما يريدون^(٤٨). ومن النعم التي ذكرها أبو العلاء المعري في جنته للشعراء والأدباء قوله: "ويعبر بين تلك الكراديس، أي الجماعات، طاووس من طاووس الجنة، يروق من رآه حسنا، فيشتهيه أبو عبيدة مصوصاً، فيكون كذلك في صفحة من الذهب، فإذا قضى منه الوطر، انضمت عظامه بعضها إلى بعض ثم تصير طاووساً، كما بدأ، فنقول الجماعة سبحان من يحيي العظام وهي رميم، هذا كما جاء في الكتاب^(٤٩): "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ۗ قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ ۗ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي ۗ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا ۗ وَاعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ^(٥٠).

٢-٣ المطلب الثالث: النار بين الإسراء والمعراج ورسالة الغفران

ورد في معراج النبي -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس مشاهد من العذاب الذي يقاسيه بعض الناس في نار جهنم، منها قوله -صلى الله عليه وسلم-: "رأيت نساء باقيات حزينات، ينادين فلا يجبن ويتضرعن فلا يرحمن فقلت: من هؤلاء يا أخي يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللواتي يتزين لغير أزواجهن، ورأيت نساء عليهن سراويل من

قطران، وفي أعناقهن السلاسل، والأغلال فقلت: من هؤلاء يا أخي يا جبريل؟ قال: هؤلاء المستخفات بأزواجهن اللاتي تقول أحدهن لزوجها: ما أبشع وجهك، وما أفبح شكلك، وما أنتن ريحك، ألم تعلم بأن الذي خلقها وخلقه هو إله واحد، ورأيت نساء وقد احترقت وجوههن، وألسنتهن مندلعات على صدورهن، فقلت: من هؤلاء يا أخي يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللواتي يقلن لأزواجهن طلقني من غير سبب، ورأيت نساء معلقات من شعورهن ويغلي دماغهن كغلي القدر، فقلت: من هؤلاء يا أخي يا جبريل؟ قال هؤلاء النساء اللاتي لا يغطين شعورهن من الأجانِب^(٥١).

وفي رواية: ورأى قوما ترضح رؤوسهم بالحجارة، كلما رضخت عادت كما كانت، ولا يفتر من ذلك شيء، إنهم أولئك الذين تتناقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة، ورأى قوماً بين أيديهم نضيق في قدر، ولحم نبيء قدر خبيث، فجعلوا يأكلون من اللحم النبيء ويدعون النضيق الطيب، فقال: من هؤلاء يا أخي يا جبريل؟ فقال جبريل: هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيبة، فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً فتأتي رجلاً خبيثاً فتبيت عنده حتى تصبح^(٥٢).

ويتخيل أبو العلاء المعري النار وأهوالها، وأصناف الناس الذي دخلوا إلى نار جهنم حيث يقول: منادي الحشر يقول: أين فلان بن فلان، والشوس الجبارة من الملوك، تجذبهم الزبانية إلى الجحيم والنسوة ذات التيجان، يُصرن بألسنة من الوقود، فتأخذ في فروعهن وأجسادهن، فيصحن: هل من فداء؟ هل من عذر يقام؟ والشباب من أولاد الأكاسرة يتضاغون في سلاسل النار ويقولون: نحن أصحاب الكنوز، نحن أرباب الفانية، لقد كانت لنا إلى الناس صنائع وأياد، فلا فادي ولا معين فهتف داعٍ من قبل العرش^(٥٣). "أَوْلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ"^(٥٤). لقد جاءتكم الرسل في زمان بعد زمان، وبذلت ما وكد من الأمان: وقيل لكم في الكتاب:^(٥٥) "وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ"^(٥٦). فكنتم في لذات الساخرة واغلين، وعن أعمال الآخرة متشاغلين فالآن ظهر النبأ، لا ظلم اليوم إن الله قد حكم بين العباد^(٥٧).

ثم يتصور الشيخ علي بن منصور أصناف العذاب التي يقاسيها إبليس عليه اللعنة، وهو يضطرب في الأغلال، والسلاسل، ومقامع الحديد، تأخذه من أيدي الزبانية فيقول: الحمد لله الذي أمكن منك يا عدو الله وعدو أوليائه، لقد أهلكت من بني آدم طوائف لا يعلم عددها إلا الله^(٥٨).

ثم يتصور المعري وجود بشار بن برد وهو يتصور من العذاب في نار جهنم لأنه قد فضل إبليس على آدم - عليه السلام - عندما قال:

إِبْلِيسُ أَفْضَلُ مِنْ أَبِيكُمْ آدَمَ فَتَبَيَّنُوا يَا مَعْشَرَ الْأَشْرَارِ

النَّارُ عُنْصُرُهُ وَآدَمُ طِينَةٌ وَالطِّينُ لَا يَسْمُو سُمُو النَّارِ

ويصف منظر الزبانية وهي تفتح عيني بشار بكلايب من نار وقد أعطي عينين بعد الكَمَه لينظر إلى ما نزل به من النكال^(٥٩).

ومن الشعراء الذين زج بهم أبو العلاء المعري في نار جهنم صخر بن عمرو بن الشريد حيث قال: فإذا هو بامرأة في أقصى الجنة قريبة من المطلع إلى النار، فيقول من أنت؟ فتقول: أنا الخنساء السلمية، أحببت أن أنظر إلى صخر، فاطلعت فرأيته كالجبل الشامخ، والنار تضطرم في رأسه فقال لي: لقد صح مزعمك في؟ يعني قولها:

وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْهَدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ (٦٠).

ومن الشعراء الذين زج بهم المعري في نار جهنم، عنتر بن شداد حيث جاء في الرسالة: وينظر فإذا عنتر العبسي متلدد في السعير فيقول: مالك يا أبا عبس؟ كأنك لم تنطق بقولك:

ولقد شربتُ من المُدَامَةِ بعدما

ركد الهواجرُ بالمشوفِ المُعَلِّمِ

بزجاجةٍ صفراءَ ذاتِ أسيرَةٍ

فُرنْتُ بأزهرَ في الشَّمالِ مُفَدِّمِ

ويخاطبه الشيخ قائلاً: لقد شق عليَّ دخولُ مثلكَ إلى الجحيمِ، وكأنَّ أذني مصغيةٍ إلى

قيناتِ الفسطاطِ وهي تغرد بقولك:

أمنُ سُميَّةٍ دمعُ العينِ تذييفُ لو أن دامتكَ قبلَ اليومِ معروفُ

ثم يسأل الشيخ عن عمرو بن كلثوم يقال: ها هو ذا من تحتك^(٦١). إن شئت أن

تحاوره فحاوره، فيقول: كيف أنت أيها المصطبح بصرح الغانية، والمغتبِق من الدنيا

الفانية، لوددت أنك لم تساند في قولك:

كأنَّ مُتَوَنِّهً متونُ غدرٍ تُصَفِّهُمُ الرياحُ إذا جَرِينَا

فيقول عمرو: إنك لقرير العين لا تشعر بما نحن فيه، فاشغل نفسك بتمجيد الله،

واترك ما ذهب فإنه لا يعود^(٦٢). ومن الشعراء الذين حاورهم علي بن منصور في نار

جهنم، طرفة بن العبد حيث يقول: يا ابن أخي يا طرفة، خفف الله عنك، أتذكر قولك:

كريمٌ يُروِّي نفسه في حياتِهِ ستعلمُ إنَّ مِنَّا غداً أيُّنا الصِّدي

فيقول طرفة: وددت أني لم أنطق مصراعا، وهدمت في الدار الزائلة إمراعاً، ودخلت الجنة مع الهمج والطعام، ولم يعمد لمرسى بالإرغام، وكيف لي بهدوء وسكون أركن إليه بعض الركون^(٦٣). "وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا"^(٦٤).

وذكر المعري أن الشيخ رأى رجلاً في النار، لا يميزه عن غيره، فيقول من أنت أيها الشقي؟ فيقول: أنا أبو كبير الهذلي عامر بن الحليس فيقول:

إنك لمن أعلام هذيل، ولكني لم أوثر قولك:

أزهيرُ هل عن شبيبةٍ من معدٍ أم لا سبيلَ إلى الشبابِ الأولِ

أزهيرُ هل من شبيبةٍ من مصرفٍ أم لا خلودَ لعاجزٍ مُتكأفٍ

وقلت في الثالث

أزهير هل عن شبيبة من معكم

ويناقشه الشيخ في أقواله تلك فرد على الشيخ بقوله:

كيف لي أن أقضم على جمرات محرقات لأرد عذاباً غدقات، وإنما كلام أهل سقر ويل

وعويل، ليس لهم إلا ذلك حويل، فاذهب لطيتك، واحذر أن تشغل عن مطيتك^(٦٥).

ثم يرى علي بن منصور رجلاً يتضور في نار جهنم، فيقول: من هذا فيقال: الأخطل التغلبي، فيقول له ما زالت صفتك للخمر حتى غادرتك أكلا للجمر، كم طربت السادات على قولك:

أناخوا فجزوا شاصيات كأنها رجال من السودان لم يتسرنلوا

فيقول أحل الله الهلكة بمبغضيه أخطأت في أمرين، جاء الإسلام فعجزت أن تدخل فيه، ولزمت أخلاق سفيه، وعاشرت يزيد بن معاوية، وأطعت نفسك الغاوية، وآثرت ما فني على باق، فكيف لك بالإباق^(٦٦).

ومن خلال ما ذكرنا من الشعراء الذين دخلوا نار جهنم، كما ورد في رسالة الغفران للمعري، نرى أن أبا العلاء المعري عندما تحدث عن الشعراء والأدباء الذين زج بهم في نار جهنم، قد اختار أولاً الجبابرة ومن إليهم، وثانياً إبليس عليه اللعنة، لأنه أظنى الكثير من بني آدم، وثالثاً لم يكن سوى صرخة شكوى وصيغة احتجاج، ونلاحظ أن أبا العلاء المعري كان صاحب خيال واسع، يستمد عناصره من علمه، وداخل نفسه، وأنشأ هذه الرسالة، وألف صورها الكثيرة من معلوماته الواسعة، ولأعم بين هذه الصور، فجاءت في مجملها مؤتلفة، ولم يكن أساس خياله شيئاً من المبصرات، لأنه كان كفيفاً، وكل ما في الرسالة من الصور الخيالية، التي مرجعها إلى البصر، يرجع بعد

التحليل إلى معلومات سمعية^(٦٧). وعندما نقول إن أبا العلاء المعري، قد تأثر بحادثة الإسراء والمعراج، وإن جنته نسخة من تلك أو مثل لها؛ إنما الذي نفهمه أنها كانت ماثلة أمامه، يذكرها وهو ينقل بعض ما يختار من ملامحها، كما يذكرها وهو ينحى ملامح أخرى، ويختار غيرها من عالمه ودنياه، أو أحلامه ورؤاه، فالتأثر بالشيء ليس معناه التقليد الخالص، ولا هو يقتضي التوافق التام، أو التشابه القريب، بل هو تمثّل، وتذكر، تلتقي فيه الصورتان، أحياناً، وقد تبتعدان أحياناً أخرى، تبعاً لهذا العالم النفسي الذي كان يعيش فيه أبو العلاء في ذلك الحين^(٦٨).

النتائج :

ناقش البحث أثر الفكر الإسلامي في أدب أبي العلاء المعري "رسالة الغفران - رحلة الإسراء والمعراج أنموذجاً".

حيث وقف الباحث على حياة أبي العلاء المعري، وعقديته، وحافظته، وذكائه، وتناول الباحث جوانب من صور الجنة والنار بين الإسراء والمعراج ورسالة الغفران، وقد خلص الباحث إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- ١- تأثر المعري بحادثة الإسراء والمعراج والمصادر الإسلامية الأخرى.
- ٢- جاءت رسالة الغفران ردة فعل للمعري بعد أن عانى من تصرفات علماء عصره، وتزلفهم لأصحاب الجاه والسلطان، فأراد بهذه الرسالة أن يثبت لكل من عاصره، أنه العالم في مختلف فنون المعرفة.
- ٣- جاءت رسالة الغفران ردًا على من اتهم المعري في دينه، حيث استشهد في رسالته بكثير من الآيات الكريمة، وشهد بالفضل لكثير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخاصة عندما أورد بعض أسمائهم في جنته التي تخيلها.
- ٤- كان أبو العلاء المعري أعجوبة عصره في حفظه، وذكائه، وعلمه، وحرصه على نشر علوم اللغة وتأصيلها.

أثر الفكر الإسلامي في أدب أبي العلاء المعري رسالة الغفران - رحلة الإسراء د /خالد محمود عسود

٥- حاول تقليد حادثة الإسراء والمعراج في المشاهد التي تخيلها في الجنة أو في نار

جهنم.

الخاتمة:

وجدت هذه الدراسة الموسومة بـ "أثر الفكر الإسلامي في أدب أبي العلاء المعري" رسالة الغفران - رحلة الإسراء والمعراج أنموذجاً أن أبا العلاء المعري، صاحبُ خيال واسع، وثقافة واسعة في مختلف العلوم اللغوية، والأدبية، والدينية، والتاريخية، وغيرها.

حيث استطاع في هذه الرسالة أن يجعل ابن القارح يخلق في العالم الآخر، ويلتقي بالشعراء والأدباء، سواء ممن دخلوا جنات النعيم، أو ممن دخلوا نار الجحيم، وأخذ يناقشهم في الكثير من المسائل اللغوية، والأدبية، والدينية، ويورد الكثير من الأخبار والأشعار، على لسان ابن القارح ليظهر لأقرانه، ولمن يأتي من بعدهم، أنه باع في كل العلوم التي تطرق لها في رسالة الغفران.

Abstract :

This research investigates a large part of the life of Abu Al-Ala Al-Ma'arri, his knowledge, his belief, his ability to memorize and his intelligence, and the impact of Islamic thought on the literature of Abi Al-Ala' Al -Ma'arri, especially in his book "risalat Al-ghufran" (the epistle of forgiveness) and his book "the journey of Isra' and Mi'raj" as a model. This research presents the opinions of scholars about the belief of Abi Al-Alaa Al-Ma'ari and refuted the suspicions claiming his infidelity and heresy based on researches done by some scholars who were fair to Abi Alaa Al-ma'ari. The research also dealt with the difficulties that faced that faced Abu Al-Ala Al-Ma'arri whether from the politicians or the sultans' sycophantic scholars, or from the general public

الدراسات السابقة:

١. أثر القرآن الكريم في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري .
الباحث د.منال طه عبدالرزاق الرفاعي .
٢. المتخيل في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري
الباحث د.صبيح مزعل جابر .
٣. جدلية التأثير والتأثر بين رسالة التوابع والزوابع لإبن شهيد الأندلسي و رسالة الغفران لأبي العلاء المعري محاكمة النقد العربي
الباحث د.زاهر بن بدر .
٤. رسالة الغفران عقيد النكران في حضرة بصير المعرفة
الباحث دهيلي نسرين .
٥. فلسفة السخرية في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري
الباحث حنان بن قيراط .
٦. القضايا النقدية في شعر رسالة الغفران لأبي العلاء المعري النقد العروضي
أنموذجاً
الباحث خالد محمود عسود المزيد وآخرون .

٧. النقد النحوي في شعر رسالة الغفران لأبي العلاء المعري

الباحث خالد محمود عسود المزيد وآخرون .

٨. بين رسالة الغفران والكوميديا الآلهية دراسة نقدية مقارنة

الباحث د.إيمان احمد ربيع .

٩. تحليل الخطاب القصصي في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري

والباحث بسمة غول .

١٠. رسالة الغفران قراءة سردية جديدة

الباحث مها الهنداوي .

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ١٩٨/٢.

(٢) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ٢٧٦/١.

(٣) إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ١٢١/٤.

(٤) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ١٩٨/٢.

(٥) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ٢٧٦/١.

- (٦) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ٣١٥/١.
- (٧) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٢١٥/٢.
- (٨) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ٣١٥/١.
- (٩) الفن ومذاهبه في النثر العربي، ٢٨١/١.
- (١٠) الفن ومذاهبه في النثر العربي، ٢٨٥/١.
- (١١) رسالة الغفران، ٤٧٢.
- (١٢) إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ٧٤/٤.
- (١٣) الفن ومذاهبه في النثر العربي، ٣٨٠-٣٨١.
- (١٤) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب.
- (١٥) إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ١٢٩/٤.
- (١٦) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ٣١٥/١.
- (١٧) المسائل النحوية والصرفية في شرح أبي العلاء، ٢٠/١.
- (١٨) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ٣٨٠.
- (١٩) حياة الحيوان الكبرى، ٢٨٧/٢، معجم الأديباء، ٣٠٢/١.
- (٢٠) درر الفوائد في كلام الشيخ عبد الكريم الخضير، ٢/١.
- (٢١) أدباء من المشرق والمغرب في الأدب المقارن، ١١٦.

(٢٢) شرح حديث الإسراء والمعراج، ٦١.

(٢٣) جديد في رسالة الغفران، ٢٥-٣١.

(٢٤) الرحلات الخيالية في الشعر العربي الحديث، ١١٠.

(٢٥) المصدر نفسه، ٧٢.

(٢٦) في الأدب المقارن، ٩٢.

(٢٧) الغفران لأبي العلاء المعري: دراسة نقدية، ٥-٧.

(٢٨) دراسات في الأدب المقارن ٧٨.

(٢٩) الإسراء والمعراج للإمام ابن عباس، ٤١-٤٢.

(٣٠) رسالة الغفران، ٢٤٩-٢٥١.

(٣١) المصدر نفسه، ٢٥٧.

(٣٢) صحيح البخاري، ١٢٠/٨.

(٣٣) رسالة الغفران، ٢٥٧/٢٥٩.

(٣٤) المصدر نفسه، ٢١٨-٢١٩.

(٣٥) سورة النساء، ١١٦.

(٣٦) رسالة الغفران، ١٩٧.

(٣٧) رسالة الغفران لأبي العلاء المعري - دراسة نقدية، ١٢٥.

(٣٨) رسالة الغفران ١٨١.

(٣٩) المصدر نفسه، ١٨٣-١٨٦.

(٤٠) المصدر نفسه، ٢٠١-٢٠٣.

(٤١) المصدر نفسه، ١٥٣.

(٤٢) سورة محمد، ١٥.

(٤٣) رسالة الغفران، ٢٣٨-٢٤٠.

(٤٤) جديد في رسالة الغفران، ٥٩-٦١.

(٤٥) رسالة الغفران ١٦٩.

(٤٦) سورة الحجر، ٤٧-٤٨.

(٤٧) رسالة الغفران، ١٦٩-١٧١.

(٤٨) المصدر نفسه، ٢٨٣.

(٤٩) المصدر نفسه، ٢٨١.

(٥٠) سورة البقرة، ٢٦٠.

(٥١) الإسراء والمعراج للإمام ابن عباس، ١٨.

(٥٢) الإسراء والمعراج محمد متولي شعراوي، ٢٢.

(٥٣) رسالة الغفران، ٢٤٧-٢٤٨.

(٥٤) سورة فاطر، ٣٧.

(٥٥) رسالة الغفران، ٢٤٧-٢٤٨.

(٥٦) سورة البقرة، ٢٨١.

(٥٧) رسالة الغفران، ٢٤٨.

(٥٨) المصدر نفسه، ٣٠٩.

(٥٩) المصدر نفسه، ٣١٠.

(٦٠) المصدر نفسه، ٣٠٨.

(٦١) المصدر نفسه، ٣٢٢-٣٢٤.

(٦٢) المصدر نفسه، ٣٢٩-٣٣٠.

(٦٣) المصدر نفسه، ٣٣٤-٣٣٩.

(٦٤) سورة الجن، ١٥.

(٦٥) رسالة الغفران، ٣٤٢-٣٤٤.

(٦٦) المصدر نفسه، ٣٤٥-٣٤٧.

(٦٧) الأدب المقارن، ٩٤.

(٦٨) الغفران لأبي العلاء المعري دراسة نقدية، ٩٦.

المصادر والمراجع

١. أدباء من الشرق والمغرب في الأدب المقارن، عيسى الناعوري، منشورات عويدات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، (١٩٦٦).
٢. الإسراء والمعراج لابن عباس، مكتبة صاوي.
٣. الإسراء والمعراج، دروس وعبر، فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، (٢٠١٠)م.
٤. الإسراء والمعراج وأثرها في تثبيت العقيدة، رزق هبية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
٥. الإسراء والمعراج، محمد متولي شعراوي، دار الشروق.
٦. إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، محمد راغب الطباخ الحلبي، دار القلم العربي حلب، الطبعة الثانية، (١٩٨٨).
٧. بغية الطلب في تاريخ حلب، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين بن العديم، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر، (١٩٥٥)م.

٨. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المكتبة العصرية، لبنان - صيدا، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
٩. تجديد رسالة الغفران، خليل هنداوي، الطبعة الأولى، منشورات دار الآداب، بيروت، (١٩٦٥)م.
١٠. دراسات في الأدب المقارن، بديع محمد جمعة، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، (٢٠٠٣)م.
١١. درر الفوائد من كلام الشيخ عبد الكريم الخضير، دار الكتب الإسلامية، (١٩٩٨)م.
١٢. رسالة الغفران لأبي العلاء المعري - تحقيق عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء - الطبعة السابعة - دار المعارف بمصر، (١٩٧٧)م.
١٣. جديد في رسالة الغفران، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء دار الكتاب العربي، بيروت لبنان الطبعة الأولى، (١٩٧٢)م.

١٤. جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، تحقيق لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت.
١٥. حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان (١٤٢٤هـ).
١٦. الرحلات الخيالية في الشعر العربي، محمد الصالح السليمان (١٩٩٩م)، منشورات اتحاد الكتاب العرب.
١٧. شرح حديث الإسراء والمعراج، محمد متولي شعراوي، مكتبة التراث الإسلامي، شارع الجمهورية عابدين، القاهرة.
١٨. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، الناشر دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، (١٤٢٢م).
١٩. الغفران لأبي العلاء المعري - دراسة نقدية - عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، دار المعارف بمصر، (١٩٦٢م).
٢٠. الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية عشر.

أثر الفكر الإسلامي في أدب أبي العلاء المعري رسالة الغفران - رحلة الاسراء د /خالد محمود عسود

٢١. الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي طيف، دار المعارف بمصر،

الطبعة الثالثة عشر.

٢٢. في الأدب المقارن، عبد الرزاق حميدة، مكتبة الأنجلو المصرية.

٢٣. معجم الأدباء - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو

عبدالله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق إحسان عباس، الناشر

دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٤) هـ.